فأعلن ايدن في مجلس العموم ان حكومته لا تعارض في تأليف جامعة عربية ، فأشغل هذا التصريح ذهن الشعوب العربية فقوبل بالارتياب الذي يقابل به كل مشروع انكليزي .. » . وفي اثناء الاستشارات بين النحاس والشخصيات العربية الرسمية حول انشاء الجامعة سأل الطاهر محمد صلاح الدين سكرتير مجلس الوزراء ، وكان من أهم الشخصيات التي لها اثر ازاء تأليف الجامعة ، « هل اخذتم من بريطانيا الثمن قبل ان تباشروا القيام بهذه العملية .. » ويعني به ان يكون النحاس قد ربط الانكليز بوثيقة رسمية واخذ منهم عهدا قبل ان يشغل فكر العالم العربي بهذه الجامعة ومفاوضاتها سنة أو سنتين ، حتى اذا خرجت انكلترا من الحرب منتصرة تنكرت لمصر وللعرب ، وتصبح فلسطين والبلاد العربية ضحية للانكليز مرة اخرى. برأي صلاح الدين ان الحكومة المصرية « قد وجدت اعتراضا انكليزيا تأخذه على منطوقه وتقوم بالمشروع فعلا بدون ان تقيم وزنا لنوايا الحكومة البريطانية». وبرأي الطاهر « ان شعوب العالم العربي لا تثق بحكوماتها الحاضرة فكلها مؤلفة على هوى الانكليز وباشرافهم وتدريبهم وتأييدهم » ، الا ان صلاح الدين كان يرى « اننا امام حكومات عربية قائمة فلا بد من دعوتها بقطع النظر عن كونها موجودة برضاء الشعوب ام غير ذلك ، ولكن الايام ستصحح هذه الاوضاع وتتداول المسألة حكومات كثيرة الى ان تتولاها الحكومات التي ترضى عنها الشعوب ، ونكون نحن على كل حال قد كسبنا هذه الجامعة التي ستصبح مع الايام حقيقة واقعة يحسب حسابها » .

وأسر الطاهر الى صلاح الدين «ان قيام الجامعة بدون فلسطين تصبح شوهاء » فوعده صلاح الدين بأنها ستدعى للاشتراك وسيكون لها المقام المفضل، واجابه الطاهر انها لن تشترك الا اذا أعادت بريطانيا المنفيين من روديسيا وغيرها « فتصدق حينئذ ان بريطانيا ستغير سياستها مع العالم العربي » . وقد أصر الانكليز على رفض اعادة المبعدين برغم توسط النحاس وتمسك اهل فلسطين برفض الاشتراك في الجامعة الا اذا عاد المبعدون ، « والظاهر ان هذا الاصرار قد وافق هوى في نفوس الانكليز فاشتدوا في رفض الافراج عن المبعدين حتى لا تظهر فلسطين على المسرح.. » .

وقد أقر اخيرا ان يستدعي النحاس شخصا من فلسطين لتمثيلها في تلك الجامعة وعند حضوره يطرح هو مسألة المبعدين في اجتماعها الرسمي. « وستنحل العقدة تدريجيا لخوف الانكليز من اثارة مسألة كهذه في مجتمع كهذا .. » . وقد اوعز الطاهر — كما جاء في ظلام السجن — الى صلاح الدين ان يعمل على ترشيح موسى العلمي وبمساعي قنصل مصر في القدس حضل موسى العلمي على توكيل من رؤساء الاحزاب الفلسطينية الستة ، ودخل العلمي الجامعة وحضر مداولاتها باسم فلسطين ولكن تمثيله فلسطين لم يدم لاسباب كثيرة وقد حضر بعد الافراج عن معتقلي روديسيا جمال الحسيني لحضور مجلس الجامعة باسم فلسطين .

ما حدث بعد ذلك اقالة وزارة النحاس وسقوط الوزارات العربية الاخرى ووجدت الوزارات الجديدة نفسها أمام الامر الواقع ولم يسعها الا المضي في مشروع الجامعة العربية فسارت فيه على « شكل اعوج وعن طريق متعرج » . وفي ٢٢ مارس ١٩٤٥ امضى ممثلو البلاد العربية ميثاق الجامعة وهو دون بروتوكول الاسكندرية في روعته وقوته ، فقد تدخل الانكليز في أمر الجامعة ووصل تأثيرهم الى مسخ البروتوكول واسقاط فلسطين من عداد الدول العربية ، وهكذا ظهرت فلسطين في الميثاق بشكل مبهم وضعيف ، ولما سأل الطاهر عزام في حفلة تكريم الوفود « .. لماذا مسختم قضية فلسطين في الميثاق مع انها كانت اقوى وأبرز واظهر في البروتوكول » فقال « الخواجات عاوزين كده وكانوا يريدون شقلبة المشروع فرضينا بما قدرنا عليه ... »(٣٤).

كان رأي الطاهر يوم اسست الجامعة « انها يجب ان تكون وان تبقى وان نؤيدها ونعضدها بكل الوسائل بعد ان تمنيناها » . ولكن بعد مضي العام الاول على قيام الجامعة « وعندما كان العالم العربي لا يزال مأخوذا بها.. تنبهت الى حالها... وتوقعت ضياع فلسطين على يدها فبادرت وكتبت ما لاحظته في جريدة مصر الفتاة بالقاهرة ، وأرسلته الى جرائد فلسطين قبل ان تضيع ... لانبه العالم العربي الى حقيقة الجامعة .. وحذرت الامة العربية من الركون الى الجامعة حتى لا تضيع فلسطين من ايدينا ... »(٣٥).

ولعل أبرز ما كان يؤاخذ عليه جامعة الدول